المصـــــدر : المدينة المنورة - الأربعاء
التـــاريخ : 04-06-2008
الصفحـات : 11
العـــدد : 0
المسلسل : 24

حاوره: أحمد عمر | تصوير: خالد رفتي

حل الروائي جمال الغيطاني ضيفا على معرض الرياض الدولي للكتاب في دورته الأخيرة وأثار حضوره ومشاركاته في الفعاليات الثقافية المصاحبة للمعرض الكثير من ردود الأفعال الغاضبة التي تسارعت وتيرتها خاصة بعد قيام بعض الكتاب السعوديين بالرد على آراء نسبت للغيطاني قال فيها إن الوهابية اخطر على مصر من إسرائيل. في حواره مع (الأربعاء) أكد الغيطاني على انه لم يأت للمملكة للاعتذار عن آراء وأفكار نسبت إليهم، مؤكدًا أن السعودية بلد مهم في الثقافة وتعمل دائما على خدمة الثقافة العربية والارتقاء بها، كما أكد أيضا على رغبته في مد جسر ثقافي صحي بين مصر والسعودية.. (الأربعاء) التقى الغيطاني بعد عودته إلى القاهرة، وكان هذا الحوار :

نافيًا أن تكون زيارته للسعودية بغرض الاعتذار.. الروائي جمال الغيطاني لـ(الأربعاء):

ما يقوم به الملك عبدالله للثقافة العربية يستحق الإعجاب من أي مثقف عربي

المصـــــدر : المدينة المنورة - الأربعاء
التـــاريخ : 04-06-2008 العـــدد : 0
الصفحـات : 10 المسلسل : 24

غير واضحة تصوير

× كانت لك انتقادات وآراء ضد الخطاب الثقافي والفكري في المملكة.. فهل جاء حضورك تراجعًا عن آرائك السابقة؟

لم أكن قرأت بعض ردود الأفعال التي صاحبت زيارتي للمملكة العربية السعودية، وربما شعرت بها في بعض الأسئلة الموجهة إلي، إلا أني أعتقد أن هذا شيئًا طبيعيًا، ونوعًا من الجدل لا أكثر، فقبل كل شيء أنا لم أذهب للسعودية للاعتذار عن آرائي وأفكاري، وتلك الآراء معروفة ومعلنة للجميع. صحيح أن المراجعة واردة؛ إلا أني لست ممن يتراجعون عن آرائهم إلا عن قناعة كاملة، وليس لمصالح شخصية عابرة، ولقد قوبلت في السعودية بحفاوة كبيرة جدًا، وأنا لست غريبًا عن السعودية، ولي فيها أصدقاء بعدد شعر رأسي. وكذلك أنا من قبيلة (جهينة)، وأصولي تعود إلى الجزيرة العربية. وبالتالي فأنا لا أعتبر نفسي غريباً عن المملكة العربية السعودية، التي أعتبرها ركنًا أساسياً في الثقافة العربية. وأكرر السعودية بلد مهم، وبلد الثقافة العربية فيه عريقة وتلك بديهيات أتمنى من بعض الأخوة والأصدقاء في السعودية ألا يضطرونا إلى إعادة تأكيدها مرة أخرى. أنا أنطلق من مفهوم واحد للثقافة العربية، والجميع يعرف أني ناقد عنيف للسياسة الثقافية في مصر. وأجد من حقي كذلك أن أبدي آرائي في بعض الأوضاع الثقافية في بلدان عربية أخرى؛ ليس باعتباري مستعرباً، بل لكوني أحد أبناء هذه الثقافة.

وسياستنا في أخبار الأدب تثبت ذلك؛ فنحن نتعامل مع الثقافة العربية ككل وندخل الطرف في المشكلات الثقافية في كل بلد عربي؛ ليس باعتبارنا غرباء، بل أصحاب دار. وقد تكون لي تحفظات على الأوضاع الثقافية في هذا البلد أو ذاك، وهذا ليس من منطلق العداء أو التجريح، ولكن بهدف رفع سقف حرية التعبير في كل بلد عربي، بما يساهم في الارتقاء بالأدب العربي ككل. أنا مع حرية الكتاب السعوديين وحرية التعبير، ولقد نشرنا في أخبار الأدب لكتاب سعوديين. وهذا ليس تفضلاً منا على أحد؛ بل هذا واجبنا، وجزء من استمرار الدور الثقافي المصري. هذه مسألة واضحة، وكان يجب أن ألفت انتباه الجميع إليها.

تلك حساسيات أرى عدم طرحها بهذا الشكل سلبي في هذا التوقيت بالذات. وأعتقد أن من حقي كمثقف عربي أن أدخل السعودية في أي وقت مثلما من حق أي مثقف سعودي أن يزور مصر كيفما شاء. يا أصدقائي الأعزاء، أنتم وجهتم إلي الدعوة، ولم أسع إليها. وأنا بدوري لبيّت هذه الدعوة الكريمة، فهل من تقاليد الثقافة العربية والضيافة العربية أن تعايرني عندما أدخل بيتك، وتقول لي لماذا جئت؟! والله أنا لو كنت أسعى لحاجة، أو أخذت حاجة، أثبتوا لي ذلك، وأظهروا للناس ما يدينني. أنا مواقفي معروفة، وتاريخي كذلك. المعنى الخفي لبعض الكتابات التي تقصد التجريح مرفوض تماما، وهناك تساؤلات محترمة لدي البعض يمكن مناقشتها والرد عليها.

اتّهام باطل

× ما مدى صحة ما نسب إليك من وصفك للوهابية بأنها أخطر على مصر من إسرائيل؟

* أنا لم أتهم الوهابية بأنها أخطر على مصر من إسرائيل؛ وأتحدى أن يأتي أحد بدليل على ذلك. وأنا لست من البلاهة لكي أقول إن الوهابية أخطر على مصر من إسرائيل. هذا خلط كبير، وغير حقيقي بالمرة؛ فأنا لست ممن يجرحون المشاعر الدينية لأحد، ولو وجد عشرة أفراد يؤمنون بعقيدة معينة فأنا أدعو إلى احترامهم.. فيما يتعلق بمسألة الوهابية هناك آثار ثقافية على الواقع الثقافي المصري من المؤثرات الوهابية، وتلك المؤثرات من حقي كمثقف مصري أن أناقشها. وهذا أمر يمكن أن يكون موضوعاً لنقاش عام ومفتوح. أعتقد أن هناك غموضاً يحيط بالوهابية ودورها في الجزيرة العربية. وقد حدثني صديقي الدكتور محمد النشائي وهو عالم كبير له مكانته المرموقة في السعودية عن الدور الإصلاحي العظيم الذي قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المجتمع إ لذ ي أرسى فيه دعوته، إذن محمد بن عبدالوهاب قام برسالة إصلاحية في منطقة كانت متخلفة. أنا بالتأكيد أحترم ذلك.. جملة القول أنا لم أجرح الوهابية، ولم أقل عنها هذا الكلام.

حراك ثقافي مثمر

× قلت بأنك دُعيت أكثر من مرة لمعرض الرياض ولم تلب الدعوة.. فما الذي استجدّ لتقبلها هذا العام؟

* نعم عندي دوافعي الخاصة لقبول دعوة الصديق العزيز إياد مدني وزير الثقافة والإعلام؛ فمنذ أن تولى جلالة الملك عبدالله بن عبدالعزيز مقاليد الحكم، وأنا أتابع بإعجاب أسلوبه في إدارة شؤون البلاد وفي سياسته الخارجية. وقد أتيح لي أن ألتقي بالملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد في مهرجان الجنادرية عام ١٩٨٦. وقد لاحظت أن الرجل عروبي عظيم في زمن يحاول البعض التخلص من عروبتهم، كما

المصـــــدر : المدينة المنورة - الأربعاء
التـــاريخ : 04-06-2008 العـــدد : 0
الصفحـات : 11 المسلسل : 24

أنه مدافع بوعي عميق عن الإسلام، ومتابع يقظ لمجمل التغيرات في العالم، وقال الكثير من الآراء التي جعلتني أشعر باحترام كبير له، ومنذ تولي الملك عبدالله الحكم لاحظت ظهور حركة هادئة ومتعقلة جداً في السعودية تستهدف إحداث حراك ثقافي مثمر في الداخل، وتعمل على خدمة الثقافة العربية والارتقاء بها، على سبيل المثال جائزة الترجمة العالمية التي أعلنها. وقد أعلنت في مؤتمر صحفي بالرياض أنها جائزة شديدة الذكاء في توقيتها وفي نوعيتها؛ فبداية النهضة تكون بالترجمة والإطلاع على فكر الآخر، والحوار والتفاعل معه. وقد تساءلت في الرياض عن موقفها من الأدب الإبداعي. وهي ملحوظة كتبتها في أخبار الأدب، وأسحبها في نفس الوقت على جائزة الملك فيصل، إن ما يقوم به الملك عبدالله للثقافة العربية أمر يستحق الإعجاب والتحية من أي مثقف عربي. لذلك ذهبت، وأعتقد أن هذا الإعجاب يحمله الكثير من المثقفين العرب، لكنهم يضمرونه خوفاً من تلك الحساسيات البغيضة التي يثيرها بعض الكتاب المجهولين والباحثين عن الإثارة. وهناك سبب آخر دفعني للزيارة غير الجهود المحمودة التي يقوم بها جلالة الملك عبدالله ؛ وهي رغبتي في مد جسر ثقافي صحي بين مصر والسعودية. وأنا لست روائيا ومبدعا فحسب؛ أنا مسؤول عن منبر ثقافي عربي مهم أتصل ويتصل بالثقافة السعودية بشكل مباشر. وثمة سبب أخير للزيارة، فهناك خطر كبير الآن يهدد وجود الأمة العربية، وهو خطر تفتيتي بدأ في العراق، ويسعى ليطال باقي الدول العربية. وهذا يستدعي ضرورة التواصل وتنسيق الجهود بين الكيانات الكبرى الموجودة في العالم العربي، وليس التفريق ودس الأسافين. وأهم تلك الكيانات هي مصر والسعودية.

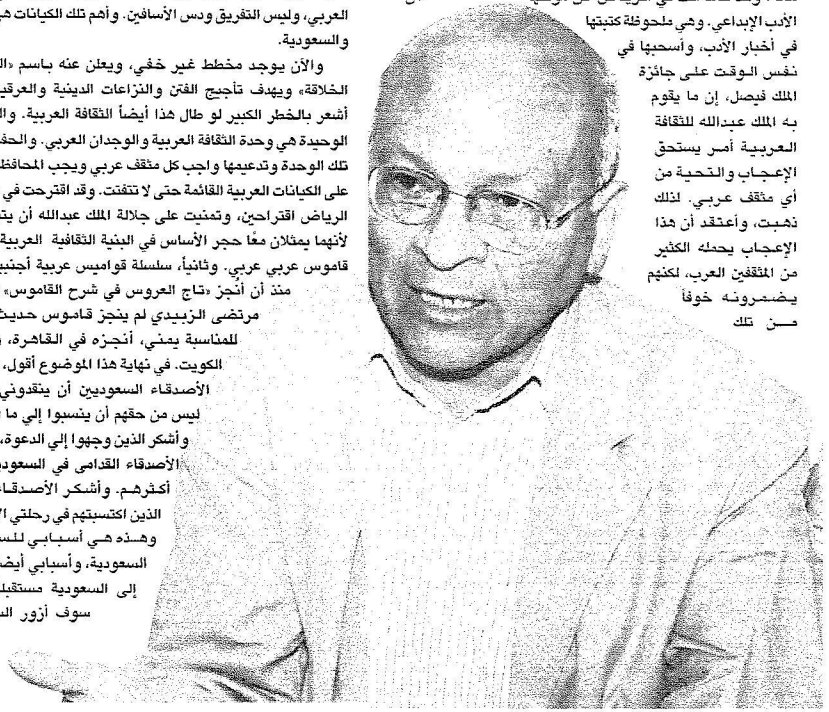

والآن يوجد مخطط غير خفي، ويعلن عنه باسم «الفوضى الخلاقة» ويهدف تأجيج الفتن والنزاعات الدينية والعرقية، وأنا أشعر بالخطر الكبير لو طال هذا أيضاً الثقافة العربية. والضمانة الوحيدة هي وحدة الثقافة العربية والوجدان العربي. والحفاظ على تلك الوحدة وتدعيمها واجب كل مثقف عربي ويجب المحافظة كذلك، على الكيانات العربية القائمة حتى لا تتفتت. وقد اقترحت في معرض الرياض اقتراحين، وتمنيت على جلالة الملك عبدالله أن يتبناهما؛ لأنهما يمثلان معًا حجر الأساس في البنية الثقافية العربية: أولاً ، قاموس عربي عربي. وثانياً، سلسلة قواميس عربية أجنبية؛ لأنّه منذ أن أنجز «تاج العروس في شرح القاموس» للعلامة مرتضى الزبيدي لم ينجز قاموس حديث. وهو للمناسبة يمني، أنجزه في القاهرة، وحققته الكويت. في نهاية هذا الموضوع أقول، من حق الأصدقاء السعوديين أن ينقدوني، ولكن ليس من حقهم أن ينسبوا إلي ما لم أقله. وأشكر الذين وجهوا إلي الدعوة، وأشكر الأصدقاء القدامى في السعودية، وما أكثرهم. وأشكر الأصدقاء الجدد الذين اكتسبتهم في رحلتي الأخيرة. وهذه هي أسبابي للسفر إلى السعودية، وأسبابي أيضا للسفر إلى السعودية مستقبلاً. لأني سوف أزور السعودية

المصـــــدر : المدينة المنورة - الأربعاء
التـــاريخ : 04-06-2008 العـــدد : 0
الصفحـات : 11 المسلسل : 24

مرة ثانية وثالثة ورابعة وكذلك أرحب في مصر بكل أديب عربي، حتى الذين اختلفوا معي.

× لماذا تركز انتقادك على السعودية وتهمل الأسباب المحلية التي أدت إلى تراجع الدور المصري، وأتساع نفوذ التيار الديني، وسيادة موجة التسطيح الثقافي التي ضربت الإعلام المصري والعربي في العقود الاخيرة؟

* جزء من هذا الكلام صحيح؛ فتوجد تيارات في مصر كانت سبباً في تراجع الثقافة المصرية. وأنا لم أقصر في نقد هذه التيارات التي تدعي أنها تريد أن تحكم باسم الدين. فالله واحد، ونؤمن به جميعاً، وهو إله للجميع وليس لفئة معينة. وهذا جزء من معركة ثقافية عمرها قرنان وموجودة في المجتمع المصري، وأنا أنحاز فيها للجانب الذي يدعو إلى الحرية؛ ولكن إذا انتخب الناس هذا التيار، فأهلاً وسهلاً. وعندما حدث تدخل عنيف في الجزائر ضد جبهة الإنقاذ، مما حال دون وصولها للحكم، ودفعت الجزائر ثمنا فادحا من الدم نتيجة ذلك؛ أنا كنت متطابقا مع موقف أستاذنا نجيب محفوظ في ضرورة احترام إرادة الناس أيًا كانت؛ ولكن في نفس الوقت يجدر أن أذكر أن من أهم أسباب قوة مصر هو دورها الثقافي، وهذا الدور الثقافي قائم على التنوع وليس على الأحادية، ثقافة مصر قامت على الانفتاح والتنوع، ومصر هي من فتحت صدرها للشوام في القرن التاسع عشر، وهم من أسسوا الصحافة كجورج زيدان وبشير تقلا. والأرمن هم من أسسوا فن الكاريكاتير. ونجيب الريحاني أصله عراقي، هل يعرف أحد الآن هذا؛ ولكن هناك فرقا بين أن أفتح صدري للمواهب وأن أفتح صدري لأشباه المواهب المدعومة بالمال من معجب، سواء مصري أو عربي. فهذا يخلق نوعاً من عدم تكافؤ الفرص، ويهدر مواهب حقيقية لا تجد من يدعمها.

آراء مرفوضة

× أين تقف من الذين ينادون بفرعونية مصر وسلخها عن محيطها وعمقها العربي؟

هي آراء مرفوضة تماماً؛ لأنها تختزل هوية مصر في مكون واحد فقط؛ فالفرعونية جزء من الهوية المصرية وليس كلها، وليس من المعقول أن نرفض المكون العربي، ونلغي ألف وأربعمائة وخمسين سنة. وأعتقد أننا إذا فتحنا المجال لمثل تلك الآراء سوف نجد من يقول إن مصر فرعونية، ويأتي تيار آخر ويقول مصر قبطية، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا هو التفتيت الذي أحذر منه، والذي يُراد له أن يعم الوطن العربي، ويعود به إلى عصر النزاعات العنصرية والقبائل من جديد.

× موقفك من التراث أظهرته من خلال دعوتك إلى (حداثة مقلوبة) تبدأ من التراث.. إذاً كيف يمكننا (تحيين) التراث وجعله تجربة حية في الواقع وليس مجموعة من الأكليشيهات المندثرة؟

الآن يوجد تيار قوي في العالم اسمه العولمة، هذا التيار يسعى للتسويق لثقافة وفكر واحد، ونمط واحد في المأكل والمشرب المسكن والملبس. وأعتقد أن هذا يفقر الإنسانية؛ فثراء الإنسانية في تنوعها وتفاعلها ومن هنا اهتمامي بالخصوصية والتراث، ولقد تحدثت عنهما قبل أن يتحدث أي شخص. والآن أنا أشعر أكثر من أي وقت مضى بضرورة الحفاظ على الخصوصية؛ بل أني أعتبر أن الحفاظ على الكبسة السعودية، والكسكسي المغربي، والملوخية المصرية قضية ثقافية.

وأنا أدعو كثيراً لدراسة التجربة الصينية؛ فالصين استطاعت أن تفرض خصوصيتها الثقافية على العالم. والصين لها موقع اقتصادي قوي، ونحن كذلك لنا موقع اقتصادي قوي؛ لكن لماذا فشلنا في فرض خصوصيتنا الثقافية على العالم؛ تلك قضية أطرحها للنقاش، ولكني في نفس الوقت ضد التقوقع في منطقة معينة من التراث، ويأتي أحدهم ويقول هذا هو التراث كله، لأننا عندما نتكلم عن التراث يجب أن نستعيد الذاكرة ككل. وأنا أتعامل مع التراث باعتباره مجموعة دوائر؛ هناك دائرة تحت جلدي، هي التراث العربي، وهناك دائرة تمس سطح جلدي الخارجي، هي التراث الإنساني ككل. وأنا عندما أقول التراث العربي لا أقصد التراث الإسلامي فحسب، بل أقصد أيضاً التراث الفرعوني والبابلي والآشوري والعبري. والقلب الذي صهر ذلك هو التراث العربي؛ ومن هذا المنطلق أعتقد بأن هناك أصولا للتراث يجب ألا تمس. هذا هو موقفي من التراث وثوابته، لأنه هو من سيمنحني خصوصيتي الآن، في عالم يراد له أن تمحى فيه الفواصل بين الثقافات. ومن هذا المنطلق أيضاً انزعاجي الشديد لعدم وجود محققين للتراث على مستوى رفيع، لأن في هذا كارثة على التراث.

أصالة ومعاصرة

*من يصنع الذهنيات العربية اليوم بعد فشل تيارات الحداثة العربية بمختلف أشكالها كما تنبأت؟

هناك حدية في الصراع على التأثير والاستحواذ على الذهن العربي بين اتجاهين: اتجاه محافظ يريد أن يحجب بصره عما يجري في العالم، وهذا مستحيل؛ واتجاه يرفض القديم والتراث باعتباره متحجراً، وهذا أيضاً مستحيل؛ لأنك أن فقدت القديم الذي يمثل ذاكرتك سوف تصاب بالزهايمر، ويصبح لا جذور لك، وبالتالي لا مستقبل لك أيضاً إذن فلابد للنهضة من أن تقوم على محورين: قتل القديم بحثاً، كما كان يقول الشيخ أمين الخولي، واستيعاب الجديد؛ وخاصة أن الجديد اليوم لم يعد من الممكن تجاهله أو استبعاده. لا بد من المزاوجة بين القديم والجديد، والحرص على التفاعل مع الآخر بشكل لا يلغي خصوصيتنا.